سليمًا سيزور الأسرة من غد، وسيصحبه في هذه الزيارة ابنه سالم، أمَّا الشباب فيُسرُّون لمقدم سالم، هذا الفتى المرح الذي سيزيد إقامتهم بشرًا وسرورًا، وأما خالد فيُسرُّ؛ لأنه سيرى أخاه، ولأنه سيرى أبناءه سعداء مبتهجين، ولكن خالدًا يسأل نفسه: ما بال سليم يصطحب ابنه؟ والشباب يتساءلون: ما بال سالم يصحب أباه؟ ثم هم يتساءلون: ما بال هذه الزيارة يُنبئ بها البرق ولا تتم مفاجأة كما جرت عادة سالم وسليم؟ فأما «منى» فلم تسأل نفسها عن شيء ولم تُجب عمَّا كان يُلقى حولها من الأسئلة بشيء، وإنما ظلت هادئة باسمة في وجهها شيء من غموض، ثم يكون الغد ويُقبل الزائران، ولكنهما لا يقبلان كما تعودا أن يُقبلا، معهما أمتعتهما اليسيرة وبعض ما تعودا أن يحملا من الطرف والهدايا اليسيرة أيضًا، وإنما يُقبلان هذه المرة ومن حولهما ما يحتاج إلى حمالين كثيرين وما يعيا بحمله هؤلاء الحمالون؛ فألوان من الفاكهة، وضروب مختلفة من الطعام المصنوع، ثم الأرز والسكر والبن وأشياء أخرى لا تكاد تُحصى؛ فأما الشباب فيدهشون ولا يقولون شيئًا، وإنما ينصرفون إلى سالم يفرحون به ويمرحون معه، وأما خالد فيقول لأخيه: وماذا تركت لأهل المدينة وقد حملت ما كان في سوقها من عروض؟ وأما «مُنى» فلا تقول شيئًا، ولكنها تتلقى هذه الهدايا فرحة بها مبتهجة لها أكثر مما تعودت أن تفرح بالهدايا أو تبتهج، وابتسامتها كما هي، وصمتها باق كما هو، والغموض في وجهها باق كما هو. وأما البنات فلا يحفلن بذلك ولا يكدن يلتفتن إليه؛ فهنَّ مشغولات بما في الدار من نشاط وبما تحتاج إليه الدار من خدمة؛ إلا جلنار فإنها قد حدثت نفسها بشيء وساءلت نفسها عن شيء: أيمكن أن يكون سالم وأبوه قد ذكرا تلك الخطبة القديمة وفكرا في هذا الزواج المنتظر؟ ولكنها لا تجيب عن هذا السؤال، وإنما تترك نفسها معلقة مضطربة، يدفعها الشك إلى هنا وهناك، وهي تألم لهذا الشك الثقيل. ويمضي يوم ويوم والأسرة فيما هي فيه من حياة فرحة مرحة، يزيدها فرحًا ومرحًا نشاط سالم ودعابة سليم.

ولكن الأخوين يخلوان ساعة بعد الغداء من اليوم الثالث وقد أحسَّ الشباب أن لهذه الخلوة ما بعدها، ولم يلتفت إليها بنات «مُنى». وأكبر الظن أن مُنى نفسها قد كانت في غرفة مُجاورة تتسمع لما يقول الأخوان، أو تنتظر أن يصل إليها بعض ما يقول الأخوان؛ وأما جلنار فقد لاحظت هذه الخلوة وابتسمت لها ابتسامة غامضة، ومضت فيما كانت فيه من عمل، ولم يعرف قلبها قط من الخوف والرجاء مثل ما عُرِف في تلك الساعة، ثم يفترق الأخوان، يذهب كل منهما إلى مضجعه ليستريح بعد الغداء، فأمَّا خالد فقد خلا